

حصاد عشر سنوات من الثورة السورية: أزمة إنسانية وغياب الحل

سمير العبدالله

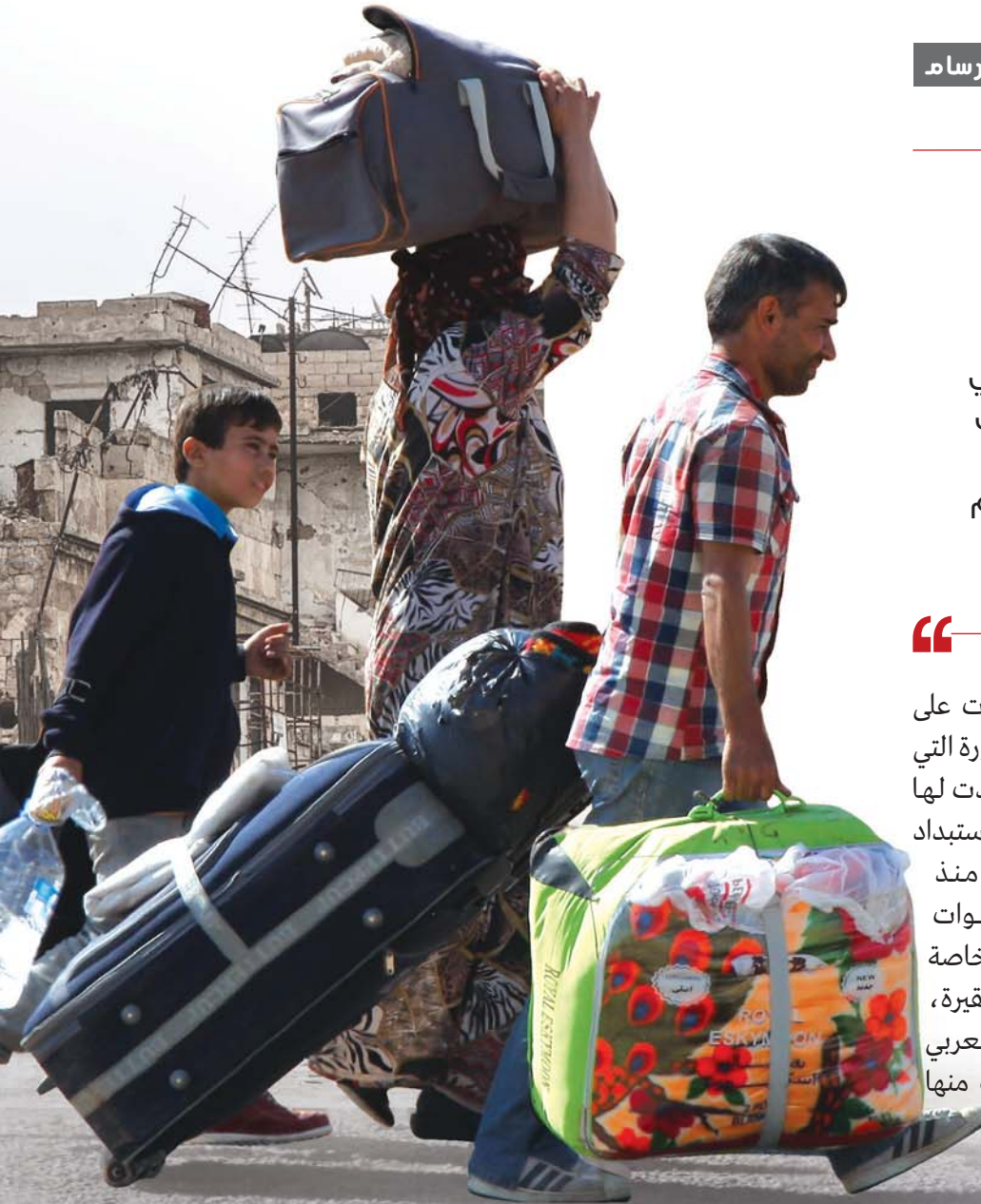
ضبير دراسات بلاد الشام في أورسام



نتيجة العنف الذي استخدمه النظام في قمع الاحتجاجات انتقلت الثورة السورية لمرحلة جديدة تمثلت ببدء تصدي بعض الشباب الثائر لقوات النظام وأجهزته الأمنية، وترافق ذلك بإنزال النظام جيشه للشوارع وبدأ بقصفه للمدن الثائرة.



مرت ما يقارب من 10 سنوات على بداية الثورة السورية، تلك الثورة التي بدأت باحتجاجات شعبية أدت لها كثير من الأسباب، ومنها: الاستبداد السياسي الذي عاشته البلاد منذ 1963، والذي ترافق في السنوات الأخيرة مع تراجع الاقتصاد، وخاصة بالنسبة للطبقة المتوسطة والفقيرة، وكذلك التأثير بثورات الربيع العربي التي بدأت في تونس وانتقلت منها للعديد من البلدان العربية الأخرى.



شعارها نصره الشعب السوري، لكنها كانت من أكثر من أضر بالشعب السوري والثورة، حيث نجح النظام بتشويه الثورة، وتصوير الثوار على أنهم عبارة عن مجموعات تكفيرية إرهابية، مما أدى لتراجع التأييد العالي للثورة، وخاصة أنه ترافق مع ظهور تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) والتي تمكنت من السيطرة على مساحات واسعة من الأراضي السورية، وكذلك جبهة النصرة التابعة لتنظيم القاعدة.

- التدخل الخارجي: وتمثل باستعانة النظام بحلفائه وطلب مساعدتهم، لذلك تدخل حزب الله اللبناني وقدم الدعم للنظام، لكنه فشل في إيقاف انهياره، لذلك بدأت إيران بتقديم دعم أكبر عسكري واقتصادي، وأرسلت قوات عسكرية تابعة للحرس الثوري الإيراني،

- مرحلة الاحتجاجات السلمية: والتي بدأت في درعا في آذار 2011 ثم انتقلت إلى المناطق السورية الأخرى، وقد واجه النظام وأجهزته الأمنية تلك المظاهرات بالقمع والاعتقالات، لكنه فشل في قمعها.

- مرحلة العمل للسلح: نتيجة العنف الذي استخدمه النظام في قمع الاحتجاجات انتقلت الثورة السورية لمرحلة جديدة تمثلت ببدء تصدي بعض الشباب الثائر لقوات النظام وأجهزته الأمنية، وترافق ذلك بإنزال النظام جيشه للشوارع وبدأ بقصفه للمدن النائرة.

- ظهور الجماعات الراديكالية: مع تصاعد العنف وفشل النظام بقمع الاحتجاجات لجأ إلى إصدار عفو عن بعض المساجين، وكان أغلبهم من أعضاء الجماعات الراديكالية، والذين بمجرد خروجهم بدؤوا بتأسيس فصائل راديكالية، كان

وإن كانت بعض الثورات العربية الأخرى نجحت بإسقاط الأنظمة الحاكمة، إلا أن الثورة السورية فشلت حتى الآن في إحداث التغيير السياسي الذي كان يرغب به السوريين، وقد مرت الثورة السورية بالعديد من المحطات ومن أهمها:



المختلفة أشبه بحدود لا يُسمح بمروها إلا من خلال شروط معينة، وخاصة بين مناطق سيطرة النظام والمعارضة، أما بين مناطق سيطرة قوات سوريا الديمقراطية وقوات النظام فالوضع يمكن وصفه بأنه أسهل.

جمود سياسي وفشل للحل السياسية:

وصلت المفاوضات السورية، أو المفاوضات التي تجري بين الأطراف الضامنة للأطراف السورية (روسيا، تركيا، إيران) إلى حالة تشبه الجمود، على الرغم من أنها نجحت في بعض المحطات، والتي أدت لتسليم بعض المناطق للنظام، لكنها منعت استمرار هجماته على مناطق سيطرة المعارضة.

أما بالنسبة لجهود الحل السياسي فتم تأسيس لجنة لوضع دستور جديد لسوريا مكونة من: ثلث من المعارضة، وثلث آخر من النظام، وثلث سمته الأمم المتحدة، وتم توصيفه بأنه يمثل المجتمع المدني، وبعد 5 جولات جرت بين تلك الأطراف لم ينتج عنها أي شيء حتى الآن، في ظل مراوغة من طرف النظام، وعدم كفاءة من طرف ممثلي المعارضة، وانقسام ممثلي المجتمع المدني.

تراجع اقتصادي كبير وأزمة إنسانية غير مسبوقة:

كحال كل الأزمات أكثر من يتأثر بها هم المدنيون، وهذا ما جرى في سوريا، حيث أدت سنوات الأزمة الطويلة، لتراجع اقتصادي كبير، وانخفاض قيمة العملة، ودمار لكثير من البنية التحتية



النظام السوري، وتقدر بحوالي 63% من مساحة سوريا، ويتواجد بها قوات لحلفائه من روس وإيرانيين وميليشيات شيعية. ومناطق مازالت تحت سيطرة المعارضة في شمال غرب سوريا، وتقدر نسبتها بحوالي 10%، وتتواجد بها قوات تركيا كنقاط مراقبة في المناطق الفاصلة بينها وبينها قوات النظام، وتقدم دعم لتوفير الأمن في تلك المناطق، والمنطقة الواقعة في شرق نهر الفرات وهي تحت سيطرة قوات سوريا الديمقراطية وميليشيات PYD الكردية، وتقدر نسبتها بحوالي 25% من مساحة سوريا، وتتواجد بها قوات أمريكية وفرنسية، بالإضافة لبعض المناطق في شرق الفرات بدأت روسيا وقوات النظام تتواجد بها، بالإضافة لذلك فإن تنظيم الدولة الإسلامية يتواجد في البادية السورية، ويقوم بما يشبه حرب العصابات ضد قوات النظام وحلفائه، وهناك منطقة التنف على الحدود العراقية السورية وتتواجد بها قوات أمريكية.

أصبحت الحدود بين المناطق السورية الواقعة تحت سيطرة القوى المتحاربة

وعناصر ميليشيات شيعية تابعة لها، لكن كل ذلك لم يوقف انهيار جيش النظام وقدراته، لذلك تدخلت روسيا في أيلول 2015، وأرسلت قوات عسكرية برية وجوية، تمكنت من إعادة سيطرة النظام على كثير من المناطق التي سيطر عليها الثوار سابقاً، كل ذلك جرى في ظل سلبية الموقف الأمريكي وعدم رغبتها بالتدخل العسكري المباشر في سوريا.

ومن جانب آخر توافد كثير من الأجانب وخاصة من المتشددین لسوريا، بحجة نصرة الشعب السوري، لكن كان لهم مشاريع مختلفة عن طموحات السوريين.

والسؤال المهم أين وصلت الثورة السورية بعد 10 سنوات على بدئها:

تقسيم سوريا لمناطق مختلفة في السيطرة:

بالنظر للخارطة السورية حالياً نجد أن سوريا أصبحت مقسمة للعديد من المناطق، مناطق تحت سيطرة

الانقسامات العربية، وخصومات بعض الدول العربية مع تركيا، على أوضاع المعارضة السورية.

بالإضافة لذلك هناك ظاهرة تزايد الميليشيات، التي تعاني منها سوريا سواء في مناطق النظام أو في بعض مناطق المعارضة، حيث ظهر ما يمكن وصفهم بزملاء الحرب، وهؤلاء ليس من السهل إقناعهم بالحل السياسي بدون توافق دولي، كذلك هناك سيطرة من جانب حزب العمال الكردستاني الإرهابي على قرار قوات سوريا الديمقراطية، ويوجهون الأمور في مناطق شرق الفرات بما يتوافق مع مصالحهم، ويتراقق كل هذا مع عودة تنظيم داعش لنشاطه في مناطق البادية السورية.

ومن خلال هذا التوصيف للحالة التي وصلت لسوريا، يمكننا القول إن القضية السورية تعقدت بشكل أكبر مما كانت عليه، وخاصة في ظل الخلافات بين الدول الكبرى، وخاصة أمريكا وروسيا، وأي حل للأزمة السورية يحتاج لتفاهات دولية قبل تطبيقه في سوريا، كذلك فقد وصلت سوريا لحالة من الانقسام المجتمعي لم يسبق لها أن عاشتها، وهذا الشرخ المجتمعي يحتاج لسنوات من الجهد المشترك بين كل السوريين حتى يتمكنوا من تجاوزه.

ليس من المنتظر في الفترة القريبة القادمة الوصول لحل سياسي للأزمة، ومن المستبعد عودة التصعيد العسكري بشكله السابق، لأن كل الأطراف أُرهِقَت، وكذلك حلفاؤهم يرغبون بالتهدئة للدفع بالحلول السياسية. ■

بالشأن السوري لا يُدعى إليها أي من الأطراف السورية، بل أن تلك الدول هي من تقرر مصير السوريين، حتى لجنة وضع الدستور اختارتها الأمم المتحدة، وتُشرف على أعمالها وليس السوريون أنفسهم.

فالنظام صار محكوماً بعلاقته مع روسيا وإيران، وكل منهما يجبر النظام على القيام بما يريد، ويفرضان عليه بعض القرارات، ولم يعد لدى النظام السوري القدرة على المناورة أو رفض أي من طلبات حلفائه.

أما المعارضة السورية وخاصة مؤسسة الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية فتعاني من انقسام واضح، وخلل في القيادة والسيطرة على فعاليتها، وترافق ذلك مع تراجع في شعبيتها، وتزايد الانتقاد الذي يوجه لها. وتشهد ساحة المعارضة السورية العديد من المحاولات لتأسيس كيانات جديدة تحل محل الكيانات التقليدية في المعارضة السورية. كذلك انعكست

الزراعية والصناعية، وانقطاع للطرق التجارية، كل ذلك أدى لأزمة إنسانية كبيرة في كل سوريا، وأصبح ما يقارب من 80% من السوريين بحاجة لمساعدات إنسانية، بالإضافة لما يقارب من 7 ملايين نازح في دول الجوار أو في دول أخرى، وما يقارب 4 ملايين نازح داخلي، تركوا مناطقهم هرباً من المعارك أو خوفاً من الاعتقال.

التراجع الاقتصادي استغلته الدول الحليفة للنظام كروسيا وإيران للسيطرة على كثير من القطاعات الاقتصادية السورية، وأجبرت النظام على التوقيع على عقود طويلة الأجل، رهن بموجبها النظام بعض ثروات سوريا لهم.

تراجع دور المعارضة والنظام:

تراجع دور الفاعلين المحليين بالأزمة السورية بعد 10 سنوات على الثورة السورية، وصار حلفاء تلك الأطراف هم المسيطرون على القرار، حتى أن بعض المفاوضات التي تجري والخاصة

